

وداعاً رؤوف عباس .. رجل المهام الصعبة

02 يوليو 2008

أ.د. أحمد الشربيني

كان رؤوف عباس أستاذ التاريخ الحديث بأداب القاهرة والذي وافته المنية الخميس الماضي أحد أبرز المؤرخين المصريين، وأكثرهم تأثيراً في المدرسة التاريخية المصرية في النصف قرن الأخير، نظراً لقيامه بدور مهم في بلورة اتجاه في كتابة تاريخ مصر الاجتماعي، كان قد وضع لبنته الأولى مؤرخون أفاض من جيل الرواد - أمثال محمد فؤاد شكري وأحمد عزت عبد الكريم ومحمد أنيس وأحمد عبد الرحيم مصطفى وغيرهم - ولأعماله العلمية التي يقدرها كل المشتغلين في حقل الدراسات التاريخية في مصر والعالم العربي، والمهتمين بتاريخ الشرق الأوسط في العالم في الشرق والغرب علي حد سواء .

وإذا كانت إنجازات رؤوف عباس العلمية قد جعلته موضع احترام وتقدير أهل الاختصاص من المهتمين بالتاريخ، فإن مروءته وعطاءه الذي لا ينقطع ومواقفه الشجاعة، ومبادئه وقناعاته، وانخراطه في العمل العام أحاطته بكثير من الأصدقاء من المريدين والمحبين، ممن أخلصوا في حبهم لرؤوف عباس وأزروه في مرضه أفضل مؤازرة، وكانوا في مقدمة من شيعوه إلي حيث مثواه الأخير .

التفاف أطراف مختلفة حول رؤوف عباس حتي اللحظة الأخيرة في حياته، كان التفافاً حول قيمة نادرة قل أن نجدها في زماننا، قيمة لنكران الذات، والصلابة، والإلتزام بالمبادئ أياً كانت، وقيمة في حب الوطن، الذي كان لا يطبق الاغتراب عنه مهما كانت المغريات، حتي أنه رفض الرضوخ للمغريات المادية التي لوح له بها في مطلع الثمانينات من القرن الماضي للعمل بوحدة من الجامعات العربية التي تقدم أعلي الرواتب . وتمسك بالاستمرار في العمل بجامعة القاهرة التي كان قسمه بها يحتاج إلي جهوده مع الغياري من أبنائه للقيام بمهمة - لم تكن سهلة - لإعادة التوازن الكمي بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب .

وقد قام الرجل بالمهمة الصعبة مع المحبين للمصلحة العامة من أبناء القسم والكلية، ونجحوا في تزويد القسم بدماء جديدة، بالتعيين تارة، والنقل من الأقسام المناظرة بالجامعات الأخرى تارة أخرى . في الوقت الذي اهتم فيه الرجل بإعادة كوادرات القسم من جيل الرواد بعد فترة عمل طويلة بالجامعات العربية، حيث عاد إلي القسم أ.د. سعيد عاشور وأ.د. عبد اللطيف أحمد علي وأ.د. حسن احمد محمود، وأزعم أن مهمة الرجل في إعادة بناء قسم التاريخ بأداب القاهرة - الذي يعد من أعرق أقسام التاريخ في مصر والعالم العربي - قد نجحت، وبخاصة عندما نجح الرجل في خلق جو من النشاط الأكاديمي الذي انخرط فيه كل أعضاء مجلس القسم، بشكل ساعد علي وأد أي محاولات لتجزير القسم، حتي أن فترة الثمانينات - التي تولي رؤوف عباس في معظمها رئاسة مجلس القسم - كانت تعد واحدة من أزهي فتراته، بعد أن شهدت ولادة أحد أهم سيمينارات التاريخ في مصر، والذي ظل يعقد بانتظام حتي نهاية فترة رئاسة رؤوف عباس للقسم، حيث تقرر نقله إلي الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بعد أن طالته يد الإهمال، والتي مازال يعقد بها حتي الآن، وفي ذات الفترة بدأ عهد القسم بالمؤتمرات العلمية، التي عالجت موضوعات في غاية الحيوية، والتي تجاوزت المشاركة فيها أهل الاختصاص إلي أهل السياسة والاقتصاد والاجتماع، حيث عقد مؤتمر عن " مصر وعالم البحر المتوسط " وآخر عن " العرب وإفريقيا " كذلك صدرت عن القسم في مطلع الثمانينات أولى الدوريات العلمية المتخصصة " المؤرخ المصري " التي مازالت تصدر حتي الآن .

وبيئنا كان رؤوف عباس يقود تياراً ليعيد لقسم التاريخ بأداب القاهرة مكانته، كان يقوم بدور مهم في وحدة الدراسات التاريخية بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية لإعادة قراءة تاريخ مصر الحديث والمعاصر، من خلال عدة مشاريع بحثية أشرف عليها، وخرجت عن المركز في إصدارات عن الثورة العراقية " مصر للمصريين " و " أربعون عاما علي ثورة يوليو 1952 " و " الأحزاب المصرية 1922-1952 ، ثم حرب السويس .

وعندما تولي رؤوف عباس رئاسة مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، في وقت كانت الجمعية تواجه أزمة المقر، انشغل بإخراج الجمعية من هذا المأزق، وتمكينها من الحصول علي مقر يليق بها، وبتاريخها، حتي حدثت الانفراجة بمبادرة من الشيخ سلطان القاسمي، الذي نفذ وعده ببناء مقر للجمعية علي أحدث طراز، علي وجه السرعة، وفاجأ الجميع بإهدائه للجمعية في حفل الافتتاح، وكانت هذه الانفراجة نقطة تحول في تاريخ هذه الجمعية، والتي تحولت علي يد مجلس إدارتها إلي واحدة من أهم المؤسسات العلمية المتخصصة التي تقدم

خدمات لشريحة ضخمة من المهتمين بالدراسات التاريخية في المنطقة العربية، في الوقت الذي تحملت فيه مسؤوليات الدفاع عن ثوابتها، وقضاياها، عندما جعلت هذه القضايا محل اهتمام نشاطها العلمي . ومن المؤكد أن الجمعية ستواصل القيام بهذه المسؤوليات بعد رحيل رءوف عباس، بعد أن أرسى بالتعاون مع أعضاء مجلس إدارتها أسس تحويلها إلي مؤسسة لا يديرها فرد أو يرتبط الأداء فيها بشخص رئيس مجلس الإدارة، بل يديرها مجلس إدارة منتخب . ولعل هذا ما حول الجمعية إلي ملتقى للمؤتمرات والسينارات وحلقات النقاش التي لا تنتقطع . ولعل هذا النجاح ما جعل رءوف عباس يؤكد مرارا أنه أصبح مطمئنا علي مستقبل الجمعية بعد أن تجاوزت مرحلة الخطر التي كانت تهددها بالانفصاض .

وجاءت السيرة الذاتية لرءوف عباس " مشيناها خطي " لتؤكد الشجاعة التي كان يتحلي بها الرجل، عندما راح يتحدث عن المجتمع، وبخاصة مجتمع الجامعة الذي خبره بخلوه ومره، وفضح بعض السلوكيات التي أدت إلي اهتزاز صورة الجامعة في المجتمع، والتي يعرفها القاصي والداني، وتجاوزت شجاعته المدي عندما سمي أشخاصا بأسمائهم في سيرته دون أن يضع اعتبارا لعواقب الأمور، ولما اتجه بعض من مستهم السيرة تصريحا أو تلميحا إلي القضاء للحصول علي حكم يدينه ، كان الرجل علي صلابته التي عهدناه عليها منذ عرفناه في نهاية سبعينيات القرن الماضي، لإيمانه بكل ما ساقه في سيرته ولثقته في عدالة القضاء المصري الذي برأ ساحته، بعد أن اقتنع بالمرافعات التي قام بها مجموعة من المحامين الشرفاء، الذين اعتبروا قضية رءوف عباس قضيتهم وقضية كل غيور علي مصلحة هذا البلد .

هذا هو رءوف عباس رجل المهام الصعبة، وصاحب المواقف المتميزة، والمروءة النادرة، رءوف عباس الذي اعتزل التدريس لطلاب مرحلة الليسانس وهو في مطلع الخمسينيات من عمره، ليعطي فرصة لتلاميذه من شباب أعضاء الهيئة التدريسية لتحمل مسؤولياتهم في التدريس بشكل كامل، وحتى يتفرغ لطلاب الدراسات العليا، ومشاريعه العلمية، ولهذ استطاع أستاذنا أن ينجز في العقدين الأخيرين الكثير من مشاريعه العلمية (تأليفا وترجمة وإشرافا) وأن يعد جيلا من الباحثين الذين أخلص العطاء لهم، دون أن ينتظر منهم أدني وفاء في حياته، فهل ينتظر أبناء هذا البلد من تلاميذ رءوف عباس الوفاء لمبادئه ومواقفه ومروءته !

http://www.elbadeel.net/index.php?option=com_content&task=view&id=24206&Itemid=150